تعالى على عادات الدهر قال ابن عباس رضي الله عنه وحدوا
الله واتقوا الشرك لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض
لوسعنا لهم الخير وسيدناه لهم من كل جانب مكان ما اصابهم من فنون
النعم والبركات التي بعضها من السماء وبعضها من الارض وقيل المراد المطر
والنبات وقرئ لفتحنا بالتشديد للتكثير ولكن كذبوا اي ولكن لم يوحدوا
ولم يتقوا وقد اكتفى بذكر الاول لاستلزامه للثاني فاخذناهم بما كانوا
يكسبون من انواع الكفر والمعاصي التي من جملتها قولهم قد مسّ
اباءنا الضراء والسراء وهذا الاخذ عبارة عما في قوله تعالى فاخذناهم
بغتة لان الجدب والقحط كما قيل فاتحة لا ابتديل الحسنة
مكان السيئة افامن اهل القرى اي اهل القرى المذكورة على
وضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مدار التوبيخ امن كل طائفة
ما اتاهم من البأس لا امن مجموع الامم فان كل طائفة منهم اصابهم
بأس خاص بهم لا يتعداهم الى غيرهم كما سيأتي والهمزة لانكار
الواقع لا لانكار الوقوع ونفيه كما قاله ابو شامة وغيره لقوله
تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الكافرون والفا للعطف على اخذناهم
وما بينهما اعتراض توسط بينهما للمسارعة الى بيان ان الاخذ
المذكور بما كسبته ايديهم والمعنى بعد ذلك الاخذ من اهل القرى
ان ياتيهم باسنا بياتا اي بتبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين
وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى البتيت كالسلام
بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر
في بياتا او امن اهل القرى انكار بعد انكار للمبالغة في التوبيخ
والتشديد ولذلك لم يقل افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا
بياتا وهم نائمون او ضحى وهم يلعبون وقرئ او يلعبون الواو

على

على التردد ان ياتيهم باسنا ضحى اي ضحوة النهار وهو في الاصل
صفو الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون اي يلهون من فرط الغفلة
او يشتغلون بما لا ينفعهم كانهم يلعبون افامنوا مكر الله تكرير
للتوبيخ لزيادة التقرير ومكر الله تعالى استعارة لاستدراج العبد
واخذه من حيث لا يحتسب والمراد به ايتان باسه تعالى في الوقتين
المذكورين ولذلك عطف الاول والثالث بالفاآت الاذكار فيهما
متوجه الى الترتيب الامن على الاخذ المذكور واما الثاني فمن تتمة
الاول فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون اي الذين خسروا
انفسهم واضاعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها والاستفهام التوبيخ
المستفاد من النظر في الايات اولم يهد للذين يرثون الارض من
بعد اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم من الامم المهلكة ويرثون
ديارهم والمراد بهم اهل مكة ومن حولها وتعدية فعل الهداية
باللام اما لتنزيلها منزلة اللازم كانه قيل اغفلوا ولم يفعل الهداية
لهم الخ واما لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل على
التقديرين هو الجملة الشرطية اي اولم اي اولم يبين لهم حال امرهم
ان لو نشا اصبناهم بذنوبهم اي ان الشان لو نشا اصبناهم
بجزاء ذنوبهم او بسبب ذنوبهم كما اصبنا من قولهم وقرئ نهد
بنون العظمة فالجملة مفعوله ونطبع على قلوبهم عطف على ما
يهدم من قوله تعالى اولم يهد كانه قيل لا يهتدون او يغفلون عن
الهداية او عن التفكر والتامل او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع والاعتبار
عطفه على اصبناهم على انه بمعنى طبعنا الا قضايه ان نفي الطبع
عنهم لانه في سياق جواب لو فهم لا يسمعون اي اخبارا لامم
المهلكة فضلا عن التدبر والنظر فيها والاعتناء بما في تضاعيفها

Copyright Imam Muhammad ibn Saud Islamic University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)